

"مدرسة الحوليات" والتاريخ الجديد "The Annales Schools" and The New History

حسن بربورة¹، الغالي غربي²

¹ ط.د، جامعة يحي فارس المدية، barbora.hacen@univ-medea.dz

² أ.د، جامعة يحي فارس المدية، kaligherbi@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021 /01/05

تاريخ القبول: 2020 /09/10

تاريخ الاستلام: 2020/08/19

الملخص:

يُظهر سياق الكتابة التاريخية في القرن 19م، أنها كانت تعتمد على مُركّزات وأُسُس "المدرسة التّقليديّة الوضعيّة" التي تقوم على فكرة مفادها أنه "لا تاريخ بدون وثيقة"، وقد حصرت هذه النّظرة الضّيقة العمل التّاريخي في حُقول السّياسة والدبلوماسية والحروب، وحبّسته في قوالب من الطّرائق التّقنيّة في تجميع الوثائق. وأمام قُصور هاته المدرسة وبُزوغ القرن 20م بأحداثه وتطوّراته المختلفة، ظهر مفكّرون وفلاسفة ومؤرخون، حاولوا بكل الطّرق والأساليب التّخلص من حصر التّاريخ في الفرد والسّياسة وتقديس الوثيقة المكتوبة، فحاول لوسيان فيفر (1878-1956م) بتأسيسه مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" مطلع سنة 1929م، كسر عقلية الاختصاص الضيق، وقد ساعده في مهمته كل من مارك بلوخ (1886-1944م)، وفرناند بروديل (1902-1985م) من خلال التأسيس لمنهج جديد. كلمات مفتاحيّة: مدرسة الحوليات؛ التّاريخ الجديد؛ لوسيان فيفر؛ مارك بلوخ؛ فرناند بروديل.

Abstract:

The historical context of historical writing in the 19th century shows that it depended on the foundations of the "positivist school" based on a basic idea that "No History Without Document", This narrow view confined historical work to the fields of political, diplomatic and military history, and locked it in molds of technical methods of collecting documents.

Because of the failure of this school and the emergence of the 20th century with all its various events and developments, thinkers, philosophers and historians have appeared, trying in all ways and methods to get rid of the limitation of history in "the individual" and "politics" and to sanctify the written document, Lucian Febvre (1878-1956) tried, after establishing the Annals of Economic and Social History at the beginning of the year 1929, to break the narrow specialization, and helped him in his mission, Mark Bloch (1886-1944), and Fernand Braudel (1902-1985).

Keywords: The Annales School; The New History; Lucian Febvre; Marc Bloch; Fernand Braudel.

مقدمة

التاريخ هو ماضي الإنسانية في كل الجوانب، وأساس الآونة الحالية، ورهان المستقبل، فمن فهمه ومعرفة قوانينه، والاتعاظ بمواعظه، ومعرفة رجاله الذين أثروا فيه، يسير الإنسان نحو التقدم المنشود. وقد عرفت أوروبا والغرب بشكل عام عدّة مدارس، في محاولة فهم وتفسير أحداث التاريخ. فمع تقدم العصور والعلوم وتوفر الوثائق والأرشيفات، تقدّمت فلسفة التاريخ وتطوّرت العديد من النظريات والمدارس والاتجاهات، من ضمنها تلك المتعلقة بالتاريخ وفق المقاييس الحديثة، وقامت هذه المدارس الغربية على أساس تجاوز نمط الكتابة التقليدية واعتماد أنماط جديدة، سواء في اختيار المواضيع، أو المناهج والأدوات.

وسيكون في صلب اهتمامنا في هاته الدراسة: "مدرسة الحوليات" Les Annales ، التي ظهرت ابتداءً من سنة 1929م وسرعان ما انتشرت أفكارها في سائر أنحاء العالم، كاستمرار للحركة في ميدان الكتابة التاريخية وكرد فعل على المدرسة الوضعية الألمانية، ونحاول الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي الظروف والعوامل التي ساهمت في نشأة مدرسة الحوليات وظهور التاريخ الجديد؟ وكيف كانت نظرة أهم روادها في فهم وتفسير التاريخ؟

1. ظروف نشأة مدرسة الحوليات

1.1 ما قبل تاريخ الحوليات

لم تظهر العلوم الإنسانية إلا بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وقد خضع علم التاريخ في تلك الفترة، وحتى بدايات القرن العشرين للاتجاه الوضعي وأشهر مؤرخيه الألمان، من أمثال تيودور مومسان Theodor Mommsen (ت1903)، وليوبولد فان رنكه Leopold Von Ranke (ت1896)، أو حتى الفرنسيين كآرنست رينان Ernest Renan (ت1892)، وآنست لافيس Ernest Lavisse (ت1922) وغيرهم، وقد كان المنهج الوضعي يتمثل في تطبيق قوانين علوم الطبيعة على الإنسان¹، واعتماده فكرة "لا تاريخ بدون وثيقة"، إضافة للعناية الفائقة بدراسة الأحداث من منظور منفرد ومنعزل، كل هذا في مسار زمني ضيق وقصير وهو زمن الحدث².

وقد دُشنت هاته المرحلة بتأسيس المجلة الألمانية سنة 1876م، التي تُوجت بإصدار كتاب "المدخل للدراسات التاريخية" لشارل لانغلوا وشارل سينيوبوس Ch.V.Langlois et Ch.Seignobos عام 1898م³، ركّز فيه على أن مهمة المؤرخ الرئيسية هي تجميع الوثائق وصيانتها وحفظها في دور الأرشيف، فالمؤرخين الوضعانيين مجّدوا العمل حول الوثائق، واهتمّوا بتحقيق تاريخ كتابة الوثيقة، ومكان كتابتها وطبيعتها، ومدى موضوعيتها، وصدق معلوماتها⁴، وحصرت هذه النظرة الضيقة العمل التاريخي في حقول التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري، وحَبَسَتْهُ في قوالب من الطرائق التقنية وتجميع الوثائق، على اعتبار أن القرن التاسع عشر هو قرن الوثائق السياسية بامتياز، حيث تراكمت الأرشيفات التي تعالج مواضيع المعاهدات والاتفاقيات والمراسلات⁵.

وأمام قُصور هاته المدرسة، وبُزوغ القرن العشرين، ظهر مفكّرون وفلاسفة ومؤرّخون، حاولوا بكل الطرق والأساليب التخلّص من عقلية التخصص الضيق، وحصر التاريخ في "الفرد" و"السياسة"، و"الكرونولوجية" وتقديس الوثيقة المكتوبة⁶، ما جعل المدرسة الوضعانية عرضةً لكثير من الانتقادات، خاصةً بعد تأسيس مجلة الحوليات سنة 1929م، إذ حدث صدامٌ بين القديم والحديث، اتخذ مجالات علمية ومنهجية، بين المناخ التقليدي الذي ميّز جامعة السوربون بفرنسا، وبين المنهج الجديد المهتم بالقضايا والإشكالات الجديدة في مجال البحث التاريخي، بطريقة يطبعها الدقة والشُمُول دون الارتباط الضيق بالوثيقة، كما شمل الصّراع المجال السياسي والعربي، وذلك بإعطاء التاريخ روحاً قومياً مستقلاً عن سيادة الجرماني، وممثّليهم الوضعانيين في فرنسا⁷.

1. 2. نشأة مدرسة الحوليات

أول ما يمكن ملاحظته في سياق تشكل مدرسة الحوليات، ما أشار إليه "جاك لوغوف" في كتابه "التاريخ الجديد"⁸ والعلاقة بين صدور مجلة الحوليات سنة 1929م والأزمة الاقتصادية، وهو أمرٌ يبدو مُقنعاً، خصوصاً أن المجلة تحمل اسم "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، وهكذا فالمجلة والمدرسة من ورائها جاءت لتجيب عن التحديات الاقتصادية للمجتمع الأوروبي، الذي سيعيش واحدةً من أشدّ الأزمات فداحةً على الغرب⁹.

غير أن "فرانسوا دوس"¹⁰ يُقلّل من قيمة هذا العامل، ويشكّك في ارتباط ظهور مجلة الحوليات بالأزمة الاقتصادية العالمية، إذ هذه الأخيرة اندلعت في شهر أكتوبر من سنة 1929م، بينما صدر العدد الأول من المجلة شهر جانفي¹¹، وإن كان يُضيف مُعطين اثنين: أولهما الإشارة إلى حدس المؤرخين، إذ أنه قبل تفجّر

الأزمة الاقتصادية بشكل واضح، كانت هناك بوادر وإرهاصات سبقتها، ونقاش طاع على المجال الاقتصادي، أما المعطى الثاني فهو ربط نجاح المجلة بتعطش الناس لفهم الآليات المتحركة في السياق الاقتصادي، وهو ما قامت به هذه المجلة التي تخصصت في الاقتصاد، وليس هذا فحسب بل نجد لدى المجلة مساهمة كبيرة للتغيرات، وقدرة على التأقلم¹².

غير أن هذا ليس كل شيء، فالالتجاء إلى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية يُحيلنا إلى حقيقة أخرى، وهي رفض جيل الثلاثينيات عمومًا للحياة السياسية، فقد كان هناك نفورٌ ونبذٌ كبيرين لمؤسسات الدولة بكل تجلياتها من مؤسسات وبرلمانٍ وانتخاباتٍ، والتطلع إلى أفقٍ آخر¹³.

يقول "فرانسوا دوس": « إنَّ رفض السياسة جليٌّ أيضًا لدى مارك بلوخ ولوسيان فيفر، فقد طُورًا منهجًا يتمحور حول الاقتصادي والاجتماعي، مُهملين بصورةٍ كليةٍ الحقل السياسي»، وينقل عن "بلوخ" قوله: « أتساءل دائمًا كيف يمكن أن يفعل ذلك أيُّ مؤرخ (يقصد التركيز على السياسة)»¹⁴، هذه الرؤية الرافضة للسياسة كممارسة، أسهمت في تحديد الرؤية التاريخية لمدرسة الحوليات الرافضة لتمرکز المؤرخ في الماضي على السياسة، أو "الصنم السياسي" و"الفردية" *individuelle Idole*، وهو التقليد التاريخي الذي سار عليه معظم المؤرخين بالتمرکز حول الفرد باعتباره صانعًا للتاريخ، ثم صنم الحدث¹⁵، أي الاهتمام بالأحداث أكثر من الاهتمام بأي شيء آخر¹⁶.

يظهر أيضًا عامل آخر حدّد توجهات ليس الحوليات فقط بل جيلٍ من المؤرخين، ألا وهو صدمة ومآسي الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، التي زعزعت ثقة الأوروبيين بأنفسهم من جهة، وعلى رأس هذه اليقينيّات ما كان سائدًا منذ عصر الأنوار من المنحى التّقديمي للتاريخ، بل بلغ اليأس ببعضهم مبلغه حين تحدّثوا عن "سقوط الغرب" كما عُنُون "شبنجلر" أحد كتّابه "انحطاط الغرب" *Déclin De L'occident* الصّادر سنة 1920م، إنّه بالنسبة إلى المؤرخ عنى ذلك إفلاس التاريخ المعركة، أو التاريخ السياسي العسكري الذي لم يعرف أن يمنع البربرية، وبدا ثمّة شعورٌ عند بعض الكتّاب والفلاسفة بأفول العصر الذهبي لأوروبا، ومن جهةٍ أخرى صرفت أنظار المفكرين والمؤرخين عن فكرة "المركزية الأوروبية"، وظهر اهتمام المؤرخين بحضاراتٍ أخرى¹⁷.

أيضًا من بين العوامل والظروف المؤثرة في تأسيس الحوليات، هو توسّع الدّراسات في حقل العلوم الاجتماعية الجديدة، الألسنية، التحليل النفسي، الأنثروبولوجيا¹⁹، وبصورةٍ خاصّة علم الاجتماع الذي يجعل من موضوعه دراسة المجتمع، ما جعله على تماسٍ مُباشرٍ مع التاريخ، لا سيما وفق الصّياغة التي دعا إليها "دوركهايم"²⁰ ومدرسته، من خلال إقامة علاقات تعاونٍ مع العلوم القريبة لتعميق مفهوم السببية الاجتماعية

للظواهر، كل هذا مهّد الطريق لـ : "مارك بلوخ" و"لوسيان فيفر" صاحبي مشروع مجلة الحوليات، للاستفادة من مشروع مدرسة علم الاجتماع الدوركهامي وتبني أطروحاتها، حتى أن تأثير دوركهام في مارك بلوخ كان واضحاً، حين يقول هذا الأخير : « لقد علّمنا دوركهام أن نُحلّل بمزيد من العمق وأن نعصر المسائل عصرًا... »²¹، هذا دون أن ننسى التأثيرات التدريجية التراكمية لجهود الكثير من المفكرين والمؤرخين والفلاسفة، من أمثال المؤرخ "جون ميشلي"²²، الذي عبّر عن قُصور الكتابة التاريخية، وضعف المنهج التاريخي مادياً وروحياً، مادياً لأنه برأيه يتكلّم عن الأجناس ويُهمل الأرض والعادات، وروحياً لأنه يهتم بالقوانين والسياسات ولا يُعير اهتماماً للأفكار والطبائع²³، بطريقة تنبأ فيها بمنهج مؤرخي الحوليات، إنّه "التاريخ من أسفل"²⁴ كما يعتقد في كتابه "الشعب"²⁵، الذي صدر سنة 1846م²⁶، وكذا أعمال "ماكس فيبر" (1864-1920م) الذي استفاد من الأعمال الكبرى للمدرسة التاريخية الألمانية²⁸ "ماركس" و"أنجلز"²⁹ في التاريخ الاقتصادي، لا سيما في مجال دراسة علم الاجتماع التاريخي³⁰، كما مثّلت أفكار الفيلسوف "هنري بير" Henri Beer (1863-1954م) رافداً أساسياً من الروافد التي غذّت مدرسة الحوليات²⁷، فمنذ نهاية القرن 19م أطلق بير (1862-1955م) حوار بين التاريخ ومختلف العلوم الاجتماعية من خلال تأسيسه "مجلة التركيب" La Revue De Synthese سنة 1900م، وعياً منه بأن التاريخ ليس البحث فقط عن التفاصيل، وإنما البحث في الأساس الذي تقوم عليه أحدث التطوّرات البشرية⁶⁹، يقول "بروديل" بصدد ذلك: "إن هذا الرجل هو إلى حدّ ما الحوليات قبل نُشوئها...، إليه يجب الرجوع إذا أردنا أن نعرف كيف بدأ كلّ شيء"⁷⁰، وقد ظهرت مساهمات هنري بير في تطوير المعرفة التاريخية من خلال العديد من الأعمال، أهمّها مقاله "محاولة في علم التاريخ: المنهج الإحصائي ومسألة الرجال الكبار"، فضلاً عن أطروحته "مستقبل الفلسفة: خُطاطة لتركيب المعارف المؤسسة على التاريخ"⁷¹.

2 . رواد الحوليات والتاريخ الجديد

أسهمت إنتاجات الكثير من مؤرخي الحوليات منذ الثلاثينيات وحتى اليوم، في تحديد مناهجها وإبراز حقول بحثها، ممثلاً بالتاريخ الجديد ومن أهمّ هؤلاء نذكر:

2. 1. الرّواد الأوائل فيفر وبلوخ

"لوسيان فيفر" من مواليد عام 1878م، في مدينة نانسي Nancy الفرنسية بإقليم اللورين، تلقّى تعليمه الأوّل هناك، ثم التحق بعدها بمدرسة المعلمين العليا Ecole Normale Superieure في العاصمة باريس، أين اكتسب ثقافته ثم جامعة السوربون التي تخرّج منها كأستاذ في التاريخ، حيث عُيّن سنة 1919م في

ستراسبورغ، ثم في الكولاج دي فرانس College de France سنة 1933م³¹، من أهم أعماله نذكر: "مارتن لوثر" Martin Luther الصّادر سنة 1982م، "مسألة اللاإيمان في القرن السادس عشر: دين رابليه"³² Probleme de l'incroyance au XVIe siecle: La Religion de Rabelais، و"حرب الفلاحين" اللذين صدرا سنة 1942م، إلى جانب أبحاث في الجغرافيا-التاريخية. أثناء تدرّسه في جامعة ستراسبورغ، أسّس فيفر مطلع العام 1929م مع صديقه وزميله "مارك بلوخ"، مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، والتي حدّدت أهدافها في افتتاحية عددها الأول، والتمثّلة في كسر عقلية الاختصاص الضيق، والدعوة لاتحاد العلوم الإنسانية والاجتماعية، والانتقال من مجال المناظرات النظرية، إلى مجال تحقيق الإنجازات العملية³³.

كان فيفر دائما يركّز على إبراز عقم التاريخ بأسلوب التسلسل الحدّثي، وأخذ من كتاب سينوبوس "تاريخ روسيا" مثالا على سطحية هذا التاريخ، حيث لا يرى في المشهد التاريخي كما يقول إلا قياصرة، ومآسي قُصُور، ووزراء مُتآمِرين... ولكن الحياة الزّاهرة الأصيلة والعميقة لهذه البلاد، حياة الغابة والشُّهوب، والموجات السُّكّانية المتحرّكة، والحياة المتفجّرة للأُنهار وللصّيّادين، وللمراكب ولطُرُق العبور، وحياة الفلاحين وعملهم وأدواتهم وتقنيّاتهم وزراعاتهم ورعيهم، واستثمار الغابات، والثروة الأرضية وطريقة الاشتغال، بها ونمط الحياة، وولادة المدن، نُموّها، مؤسّساتها وأسواقها، ودور العقيدة الأرثوذكسية في الحياة الجماعية، والمسائل اللغوية، والتعارضات الإقليمية، ومسائل أخرى كُلّها غائبة، وبذلك يطالب لوسيان فيفر في نقده هذا بممارسة تاريخ شامل، يُعالج كل مظاهر الأنشطة الإنسانية³⁴.

أما "مارك بلوخ" فمن مواليد سنة 1889م بمدينة ليون الفرنسية، تابع دروسه الأولى في المدرسة العليا للمعلّمين، ثم التحق ببعض الحلقات الدّراسية في جامعات ألمانية، في كُلٍّ من مدينة "ليبيغ" و"برلين" في الفترة (1919م-1936م)، ثم عمل أستاذاً في جامعة ستراسبورغ، وعقد صداقات جيّدة مع أساتذته من اختصاصات مختلفة³⁵. من أهم أعماله التي كان لها تأثير في التاريخ: "السّمات الأصلية للتاريخ الريفي الفرنسي"³⁶، و"المجتمع الإقطاعي"، كما كتب سلسلة من الدّراسات والمقالات في مجلة الحوليات بعد انتقاله إلى باريس سنة 1936م، لينشُط من خلال المجلة، كما كتب أيام الحرب العالمية الثانية، مخطوطته الشهيرة التي نُشرت لاحقاً "تمجيد التاريخ: مهنة المؤرّخ"³⁷، ردّ فيها على منهج المؤرّخين "سينوبوس ولانجلوا"، المعروف في "مدخل إلى الدّراسات التاريخية"³⁸، كما انضمّ خلال الحرب إلى المقاومة الفرنسية، ليعتقل على يد الألمان ويُعدم سنة 1944م، وقد كان لأعماله قبل ذلك ومنهج اشتغاله في التاريخ، وآرائه النظرية-المنهجية

التي عرضها في مخطوطته تأثير كبير في مسار مجلة الحوليات³⁹، وعلى محيطها الفكري والثقافي، وتطورها إلى مدرسة أصيلة قابلة للاستمرار والتطور⁴⁰.

يعترف بلوخ بأهمية الوثائق للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وبأهمية التحقيق والتبُّر بمعطياتها ومفرداتها وجزئياتها، لكن ذلك لا يكفي بحسب رأيه كمصدرٍ للتاريخ، فركام الوثائق غير محدود، ولا يقتصر التاريخ على الوثائق المكتوبة، بل يمكن استكمال دراسة الحركات السُّكَّانية والهجرات، من خلال المقابر الأثرية في منطقة من المناطق أو حضارة من الحضارات، ثمَّ إنَّ المعتقدات والمشاعر والعواطف يمكن أن تُنبئ عنها الصور والرسوم والتماثيل، أكثر مما تُنبئ عنها النصوص⁴¹، هكذا لا يدعو بلوخ إلى اكتشاف مصادر جديدة للتاريخ فقط، بل يدعو كذلك إلى توسيع حقل التاريخ باتجاهاتٍ مختلفة كالأنثروبولوجيا التاريخية، ودراسة الفولكلور والعادات ومظاهر السحر، وباتجاه مجال تاريخ العقليّات⁴²، ويدعو أيضًا إلى الاهتمام بأصل الكلمات والمصطلحات وتطور استخدامها في التاريخ من زاوية إدراك دلالاتها في زمنٍ معيّن وثقافةٍ معيَّنة، كمصطلح "فن"، "فريّة"، "إمبراطورية"، "إقطاعية"، "ثورة" و"حرية".. الخ، فلكل من هذه المفردات دلالاتها⁴³.

أما على مستوى الثقافة التاريخية، يُلح بلوخ على تكوين ثقافةٍ عامّةٍ وصلبةٍ لدى المؤرخين الناشئين، ففضلاً عن العلوم الضرورية المساعدة لنقد الوثائق (الخطوط واللغات)، يطالب بضرورة الإلمام وفقاً للاختصاص وحقل الاهتمام، بعلم الآثار والجغرافيا والإحصاء والديمقراطية والاقتصاد وعلم الاجتماع والألسنية، وعن فائدة التاريخ أو نفعه يقول: «أن نفهم المثل والظواهر والسلوكيات في الماضي، من غير إطلاق معايير من أخلاقيات وأيديولوجيات الحاضر»⁴⁴.

2. 2 فرناند بروديل (1902-1985م)

ولد بروديل عام 1902م شرق فرنسا⁴⁵، بدأ وتابع دراسته الأولى هناك، ثم بثانوية "فولتير" بباريس (1913-1920م)، وبعد إنهائه لدراساته العليا في التاريخ من جامعة السوربون، عمل مدرساً بثانوية قسنطينة في الجزائر، مدة عشر سنوات (1923-1932م)⁴⁶، حيث اكتشف هناك المتوسط عبر ضيقته الشمالية والجنوبية، ثم انتقل إلى التدريس بجامعة "ساوبالو" بالبرازيل، وتقرّب أكثر إلى لوسيان فيفر، الذي أصبح صديقه وأستاذه⁴⁷، والذي نصحه بتحويل موضوع أطروحته⁴⁸ التي كان قد سجّلها سنة 1923م، من "سياسة فيليب الثاني المتوسطية" إلى دراسةٍ شاملةٍ عن "المتوسط في عهد فيليب الثاني"، هذا التغيير في العنوان، كان يعني انقلاباً في المنهج والمضمون ومدة العمل⁴⁹.

كان يعني أن شخصية الأطروحة ستكون «عالم المتوسط» وليس سيرة ملك (سياسته وحروبه)، وقد استوجب هذا التغيير عملاً طويلاً ومضنياً في أرشيفات مدن المتوسط المختلفة، مدريد، روما والبندقية، واستغرق أكثر من خمس عشرة سنة⁵⁰ قطعتها الحرب العالمية الثانية، وفي غضون 1945-1946م، استأنف بروديل تحقيق وثائقه، وصاغ من خلالها أطروحة دكتوراه ضخمة، صدرت في نصّها الأصلي سنة 1949م، وكان منذ ذلك الحين يضيف إليها وينقح فيها حتى صدرت في طبعها المتجددة الأولى، سنة 1966م من 1160 صفحة، وفي الطبعة الثانية 1222 صفحة، وهي الطبعة التي لا زال يُعاد نشرها حتى اليوم، وترجمت إلى معظم اللغات العالمية⁵¹، وقد حمل هذا الكتاب إلى جانب أعمال أخرى لاحقة، العناصر المُجسّدة بامتياز لمنطلقات مجلة الحوليات النظرية والمنهجية وحقوقها، فنهض بذلك البحث التاريخي نهوضاً أدى إلى أحداث قطيعة بين ما درج عليه التاريخ من أساليب سرد وتحقيق زمني للأحداث، وبين ما أضحي عليه التاريخ الجديد في اعتماده على الربط بين وقائع الاجتماع البشري (الوقائع الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية...) ⁵².

وفي كتاب بروديل "المتوسط والعالم المتوسطي"، تدرج في التاريخ كل هذه الوقائع، لا بطريقة منفصلة، ولكن بطريقة متصلة ومتشابكة، فهو كتاب تأمل في البحر المتوسط⁵³، يتناول المناخ وتأثيراته، الملاحظة والمرافئ، والهضاب والسّهول استصلاحاً وزراعةً، والجبال بهجرات البشر إليها وامتناعها عن سيطرة الدول، البداوة، شبكات المواصلات البرية والبحرية، المعادن الثمينة والتّقد، التجارة والنقل، المدن والدول والإمبراطوريات بصعودها وانهارها، المجتمعات بنظم التراتب الاجتماعي، وبظواهر الفقر والعصابات وقطاع الطرق فيها، الحضارات ببناها السّحيقة القِدَم وشبه الثّابتة بحدودها الجغرافية والبشرية، وبديمومتها وحركيتها، باقتباساتها وإشعاعاتها، الحروب بأشكالها المتعددة، من حروب الحضارات والإمبراطوريات إلى القرصنة والحروب الأهلية⁵⁴.

هذا وقد كتب بروديل نظريات في المنهج أيضاً، أصدرها ضمن سلسلة من المقالات، عام 1969م (كتابات في التاريخ)، يُوسّع فيها ويُعمّق أفكار أستاذه فيفر وبلوخ، فالمؤرخ في رأيه هو اقتصاديٌّ، انثروبولوجيٌّ، ديمغرافيٌّ، عالم نفس، وألسنيٌّ، والتاريخ هو أكثر العلوم انفتاحاً، وأكثر حاجةً لأن يتغذى من العلوم الإنسانية الأخرى⁵⁵، ويتجسّد هذا المنهج في عمل كبير آخر بدأه بروديل على مراحل، وعلى امتداد سنوات (1950-1980م)، وهو العمل الذي تجلّى في إصداره الأخير المكون من ثلاثة أجزاء عام 1980م، "الحضارة المادية: الاقتصاد والرأسمالية منذ القرن الخامس عشر وحتى الثامن عشر"⁵⁶.

منذ سنة 1956م اكتسبت مدرسة الحوليات ومجلتها وضعاً مهيماً في الكتابة التاريخية الفرنسية، وحتى سنة 1968م، كان بروديل هو الموجه بلا منازع، والجامع لمعظم الصّلاحيات والمسؤوليات، وبعد عام 1998م، أحاطه في لجنة التحرير عددٌ من المؤرخين الفرنسيين اللّامعين: "جاك لوغوف"⁵⁷، "لادوري" و"فيرو"، كما كان قد برز عددٌ من المؤرخين الذين أصدرُوا أعمالاً أضحت مراجع كبرى وأصيلة، مجدّدة لحقل البحث التاريخي، ليس في فرنسا فحسب، بل في أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكيّة أيضاً⁵⁸.

2. 3. التاريخ الجديد

من خلال هذا العرض الموجز لمسار ثلاثة من رواد مدرسة الحوليات، نجد أن التاريخ الجديد للحوليات، يُمثّل في الحقيقة قطيعة معرفيّة، مع مستوى معيّن من الكتابة التاريخيّة، حيث أضحي للزّمن وللأزمنة نفسها معنًى مغاير لمعناها في التاريخ، الذي صار يُسمى "تقليدياً"، كما استبدلت مقولة: "الزمن القصير" بمقولة: "الأمد الطويل"، وأعيد الاعتبار للمصادر المنسيّة كالتاريخ الشّفوي، والتّراث المادي، وتمّ تسليط الضّوء عليها من زوايا جديدة مختلفة⁵⁹.

لقد حاولت رؤية التاريخ الجديد، التّركيز على الوصول إلى الحقيقة التاريخيّة، من خلال الموضوعيّة، لأنّ الدّاتية كثيراً ما شوّهت الخطاب التاريخي العلمي المُتّزن، وحاول رُؤاد الحوليات في كلّ مرّة استثمار كل ما يمكن استثماره من علوم ومعارف ومناهج بحث، للاقترب من الحقيقة التي وصلت إليها العلوم الطّبيعيّة⁶⁰. فقد حاول مارك بلوخ في كتابه "مهمّة المؤرّخ"، أن يضع المعايير والثّوابت الممكنة لتحقيق هذا الهدف، ورغم أن بلوخ وفيفر ينتميان إلى نفس المدرسة (الحوليات)، إلا أنّهما لم يتّفقا في المنهج والرّؤية، فقد كانت نزعة فيفر "سيكولوجيّة" لحضور ما هو نفسي وذهني في التاريخ⁶¹، في حين كان مارك بلوخ يميل إلى "الأثروبولوجيا" وعلم الاجتماع لملاءمتهما أكثر للتّاريخ⁶²، باعتباره «يصف الممارسات الجماعية، ورمزيات المخيال الجماعي المشترك والتمثّلات الذهنية غير الواعية، والعادات الفكرية لمختلف المجموعات الاجتماعيّة»⁶³.

كما قام بروديل بالتأسيس لمنهج جديد من خلال إعادة النّظر في الزّمن، وإعادة الاعتبار للمُدّد الأكثر طوًلاً، فالتّاريخ التّقليدي في نظر بروديل، هو تاريخٌ روائيّ يسرد الأحداث في شكلٍ مأساوي، أو في شكل صُورٍ مُصغّرة خالية من كل تحليل، بينما التّاريخ برأيه ليس مجرد أحداثٍ كبرى فقط، بل أيضاً الأحداث العريضة أو اللّحظات التي تبدو بسيطةً في مسيرة التّاريخ التّطوّريّة، وبالتالي وجب الانتقال بالتّاريخ من التّجزئة إلى

الشُمُولِيَّة⁶⁴، لأن الأحداث والوقائع كما يقول: "...ليست سوى موجات وزبد فوق القمم، تنشط بصورة سطحيّة عبر حركة تنفس الكتلة المحيطيّة"⁶⁵، كما حاولت مدرسة الحوليات أن تُعطي بُعداً آخر للزمن التاريخي، فيُعرّفه بروديل على أنه: «الزمن الواقعي الاختياري المطلق الذي ينطبع بطابع النسيبة»⁶⁶، فهو يُفرز تواريخ متنوعة ومتباينة⁶⁷.

وبذلك فإن بروديل يُقسّم التاريخ إلى ثلاث مستويات: فهناك تاريخ ثابت هو تاريخ الإنسان في علاقته بالمحيط، أي تاريخ الحقب الطويلة، تاريخ بطيء في حركته وتغيّراته، يلزم المؤرخ فيه أن يُوسّع حقله وقياسه إلى أقصى الحدود، فيُظهر حركات وتراكبات استمرّت قرونًا، ويُبرز الأسس الصلبة التي يُبنى عليها التاريخ...، وتحت هذا التاريخ الثابت هناك تاريخ يسير بهدوء وهو "التاريخ الاجتماعي"، الذي يشمل كل الظروف والتقلّبات التي تطال حياة المجتمعات في حقبات قصيرة، وهناك النمط الثالث من التاريخ، وهو تاريخ الفرد أو "التاريخ الحديث"، وهو المستوى الخاص بالتاريخ التقليدي، الذي ينتقل المؤرخ بين أحداثه كما ينتقل الصحفي من حدث لآخر، فيظهر التاريخ بذلك مليئًا بالتغيّرات والألوان من دون أن تظهر معانيه العميقة⁶⁸.

هكذا فقد مرت الحوليات خلال مسار تطوّرها بعدة محطات، يمكن وصف المحطة الأولى بفترة سيادة الفلسفة، على يد الفيلسوف والمفكر هنري بير و"مجلة التركيب" سنة 1900م، وفي مرحلة ثانية من مسيرة الحوليات، ظهرت رغبة لإصدار مجلة أكثر واقعيّة من مجلة التركيب وأقلّ تفلسّفًا، وتعتمد أبحاثًا ملموسة وجديدة، لتنشأ مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" فترة العشرينات والثلاثينات، بفضل بلوخ وفيفر سنة 1929م⁷²، وفي المرحلة الثالثة بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945م)، فرض التاريخ الجديد نفسه اعتمادًا على مجلة "الحوليات"⁷⁴، فبعد تحرير فرنسا 1946م وإلى غاية سنة 1956م تاريخ وفاة لوسيان فيفر، توجّهت المدرسة في اتجاه يتجاوز المعطى الاجتماعي-الاقتصادي المتمركز حول مفاهيم النُورَات والأزمات والظروف إلى منهج البنّيات والمدد الطويلة⁷⁵، وفي هذا الإطار اقترح فيفر حلقات تاريخية جديدة خوّلت له إمكانيّة استكشاف ميدان العقليّات⁷⁶، ليتمّ التحوّل في الفترة الرابعة (فترة الخمسينات والستّينات) إلى ميادين الجغرافية التاريخية والتاريخ الاقتصادي، وهيمنة الأنثروبولوجيا البنيويّة خصوصًا أفكار "كلود ليفي سترافوس" Claude Livi-Strauss، حيث تداخلت موضوعات البحث بين المؤرخين والإنتولوجيين، فأثري مجال البحث، وانكسرت الحدود بين العلوم وتداخلت فيما بينها⁷⁷، وفي فترة السبعينيات تحوّلت مجلة الحوليات مرة أخرى إلى دراسة وتحليل السلوكات الجماعيّة، وانعطف مؤرخوها وورثها "التاريخ الجديد"، في اتجاه دراسة الجسد في حالة السُّقم والصّحة، والتقت في ذلك بتاريخ الطب، أضف إلى ذلك أن تاريخ السكّان قد انعطف أيضًا في اتجاه تاريخ الأسرة، الذي قاد بدوره إلى تاريخ الجنس بتناوله مشاكل

المُحرّمات الدّينيّة، طرق منع الحمل، العلاقات الشّرعية وغير الشّرعية⁷⁸، وفي نفس الوقت بدأ الباحثون يُفكّرون في موقف الإنسان من الحياة، عن طريق جمع المعلومات حول الإنجاب والحمل والولادة والطفولة، إضافةً للبحث في الطّقوس الجنائزيّة وأشكال تصوّر العالم الآخر، إلى جانب الاهتمام بالأنثروبولوجيا التّاريخية، رغم أن الاهتمام بهذا الميدان كان قد برز منذ العشرينيات مع بلوخ وفيفر⁷⁹، لذلك ليس من الصّدف أن يُصدر مؤرخًا مثل فرانسوا دوس عام 1987م كتابًا ذا عنوانٍ مُعَبّرٍ: "التاريخ إربًا إربًا أو التّاريخ المفتّت"، في إشارةٍ إلى التّصدّع الذي أصاب تاريخ الحوليات، حيث بدأت تعلو الأصوات المنادية برفض تأويل التّاريخ المعتمد على العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة والمقاربات الكميّة، خصوصًا مع عودة التّاريخ السّياسي بقوة⁸⁰.

وفي العام 1993م غيّرت مجلة الحوليات اسمها، وأصبحت مجلة "التاريخ والعلوم الاجتماعيّة"، وقد وقع إبراز كلمة (تاريخ) عن قصدٍ لتأكيد هويّة علم التّاريخ، والمحافظة عليه من الضّباب تحت رُكام العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة الأخرى⁸¹، كما أن نشأة "التاريخ الجديد" كمعرفةٍ في أوروبا ليس معناه أنه مُتعلّق بها فقط، فقط تطوّر خارج مجال التّاريخ الأوربي كالولايات المتحدة الأمريكيّة وتناول القضايا التّاريخية للمجتمع بأشكالٍ وأنماطٍ مختلفة، وبطرح تساؤلاتٍ منهجيّةٍ جديدةٍ، ومقارباتٍ مفيدةٍ ولاشك⁸².

الخاتمة

من أهم الاستنتاجات التي توصّلت إليها الدّراسة، حول مدرسة الحوليات والتّاريخ الجديد:

- أن مدرسة الحوليات الفرنسية جاءت بأفكارٍ وتصوراتٍ وآلياتٍ جديدةٍ ومستحدثةٍ في الكتابة التّاريخيّة، من خلال تجنّب التّاريخ السّردى، والانتقال الى دراسة البنى الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، واتّساع مفهوم الوثيقة لديها ليشمل كلّ أنواع الوثائق، كما تحوّل اهتمام مؤرخي الحوليات من دراسة الخاص الى دراسة العام، ومن دراسة الجزء الى دراسة الكل، ومن الاهتمام بالفرد الى دراسة المجتمع، وبذلك أُعْثِرَت مدرسة الحوليات ثورةً من أجل التّجديد، تُشبهه إلى حدٍّ ما "ثورة فيزياء الكمّ" La physique quantique، فعندما نتّمكّن من فهم منطق الأشياء المجهرية والدّقيقة، نتّمكّن من إعادة صياغة التّاريخ العام وكتابته.
- اهتمامها بالزّمن الراهن، والقضايا الجديدة المعاصرة كالأزمة الاقتصاديّة، وغيرها من المواضيع ذات الصّبغة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في أغلب الأحيان، إضافة لافتح التّاريخ على مختلف العلوم، والاستعانة بمجموعة من الأساليب والطّرق المستعارة أساسًا من العلوم الأخرى، واعتماد أساليب التّحليل، الحساب وطّرق الإحصاء والعينات، فظهرت تخصّصاتٌ وحقولٌ معرفيّةٌ جديدةٌ تفرّعت عن التّاريخ، فظهر التّاريخ الإشكالي، وتاريخ العقليّات والدّهنيّات وغيرها.

- جاء بروديل بمفهوم جديد للزمن، يقوم على التمييز بين ثلاث مستويات رئيسية: الزمن الجغرافي، وهو زمن المدد الطويلة، ويتميز بتغيره البطيء، الزمن الاجتماعي وهو زمن الطرقات وزمن المدد المتوسطة، مثل تاريخ تطوّر الاقتصاد والمجتمع، الزمن الفردي ويطابق زمن الوقائع والأحداث السياسية كالحروب والمعاهدات وحكم الملوك.

لكن يبقى أن الحوليات قد تعرضت لكثير من الانتقادات منها:

- إعطائها الأولوية إلى "الأزمة التاريخية الطويلة"، أدى إلى تركيز "الإنتاج التاريخي الحولي" على الفترات الحديثة والوسيلة، وإهمال التاريخ القديم والمعاصر.

- تقديس المفكرين والمؤرخين الأوائل للمدرسة، حيث يقول "ميشيل مورينو": «إننا لا نجزو حتى على رصد أخطاء "سيمياند"، ونتعمى بنفس الدرجة عن الأخطاء الكبرى التي لا تخلو منها دراسات أقرب عهداً، إنني أدين عدداً من الأخطاء الخطيرة التي تسربت إلى عدة مجالات أساسية.. وأدين التسامح الذي نعت به، لا شيء إلا لمكانة كاتبها، وأدين تقديس الشخصية في مجال التاريخ».

- تحوّل مؤرخي الحوليات وتراجعهم عن الوظيفة الشمولية، ما جعل المعرفة التاريخية تنفتت إلى أجزاء، وتحلّل الموضوع التاريخي داخل المحيط الشاسع للعلوم الإنسانية وفقدانه لكل استقلالية.

الهوامش:

- (1) الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2013، صص 83-84.
- (2) وجيه كوثاني، "التاريخ دراسة البشر في الزمن لا في الماضي"، منبر الحوار، ط1، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، ص73.
- (3) وجيه كوثاني، تاريخ التاريخ اتجاهات مدارس مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012، ص168.
- (4) إبراهيم سعيد البيضاني، "قراءات في المدارس الفكرية التاريخية نحو مدرسة عراقية تاريخية"، ملتقى قراءات في المدارس الفكرية التاريخية العالمية، أنقرة، 20-21 أوت 2019، تاريخ الزيارة: 21 نوفمبر 2019، د.ص.
- (5) محمد العيادي، "المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية"، مجلة أمل، ع15، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص31.
- (6) نفسه، ص31.
- (7) يؤكد ذلك غول فرناند بروديل عن التوجّه نحو التاريخ الألماني -رغم إتقانه للغة الألمانية- حينما طرح له مشكل اختيار أطروحاته بالقول: "إنّ هذا التاريخ الألماني كان يظهر لي مُسمّماً بصفة مسبقة، بالتّظر لإحساساتي الفرنسية المفرطة"، وكذلك لوسيان فيفر وهو المهتم بالقاعدة الاقتصادية، لم يُشر في كتاباته لماركس إلا نادراً. أنظر: عبد المالك يعكوب ومحمد اباحمان،

"مدرسة الحوَلِيَّات نظرة أوليّة"، مجلة التاريخ، تاريخ النشر: 6 أكتوبر 2014، تاريخ الزيارة: 2019/12/23، 11:20، د.ص.

http://histoirecv.blogspot.com/2014/10/blog-post_99.html

(8) يقول جاك لوغوف: «ليس من باب الصدفة أن تنشأ مجلة الحوَلِيَّات سنة 1929م، وهي سنة اندلاع الأزمة العالميّة الكبرى».

أنظر: جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص85.

(9) فرانسوا دوس، **التاريخ المفتت من الحوَلِيَّات إلى التاريخ الجديد**، تر: محمد الطاهر المنصوري، ط1، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، 2009، صص35-36.

(10) فرانسوا دوس: مؤرخ وكاتب وباحث، أستاذ جامعي في جامعة "كريتي" بباريس، اهتمّ بالتاريخ الفكري لفرنسا وأيضاً باستمولوجيا التاريخ والكتابة البيروغرافية، تدلّ على ذلك مؤلفاته الضخمة حول "ميشال دو سارتو" Michel de Certeau "بول ريكور" Paul Ricoeur، "جيل دولوز" و"فليكس غاتاري" Gilles Deleuze et Félix Guattari، وأخيراً "بيير نورا" Pierre Nora، كان أيضاً من بين اهتماماته البارزة عمل الذاكرة وتنظيم الحقل التاريخي. للمزيد أنظر:

Philippe Hamman, "François DOSSE, Le pari biographique. Écrire une vie", Éd. La Découverte, Paris, 30 juin 2006, pp502-509.

(11) دوس، مرجع سابق، صص35-36.

(12) نفسه، ص36.

(13) عادل الطّاهري، "الجبري والحوَلِيَّات اللقاء المنهجي الصّامت"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2018، الرابط المملكة المغربية، ص4.

(14) دوس، مرجع سابق، ص99.

(15) الطّاهري، مرجع سابق، ص5.

(16) يوكّد هذا أيضاً المؤرخ "بوردي قايي" حيث يقول: «فهذا الثّبار الجديد أهمل الحدث، وركّز على المدّة الزمنيّة الموعلة في الطّول، وحوّل اهتمامه من الحياة السياسيّة إلى النّشاط الاقتصادي». أنظر:

Bourde Gayet et Martin Herve, **les Ecoles historiques**, Seuil, Paris, 1988, p172.

(17) كوثراني، **تاريخ التاريخ**...، مرجع سابق، ص200.

(18) الطّاهري، مرجع سابق، ص6.

(19) **الأنثروبولوجيا Anthropologies**: علم دراسة الإنسان حضاريّاً، اجتماعيّاً وطبيعيّاً، ظهر منذ القرن الثامن عشر الميلادي، لكنّه لم ينتشر ولم يأخذ صده الذي يستحقّه بسبب ظهور علم الاجتماع. أنظر: **الموسوعة العربيّة الشّاملة**، نسخة إلكترونية، 2004، د.ص.

(20) دوركايم إميل (1858-1917م): عالم اجتماع فرنسي أسهمت نظرياته وكتاباتاته في إرساء أُسس علم الاجتماع الحديث. أنظر: **الموسوعة العربيّة الشّاملة**، نفس المرجع السابق، د.ص.

21) Mark Bloch, **Appologie pour l'histoire ou métier d'historien**, Armand Colin, paris, 1993, p27.

- (22) جون ميشلي (1798-1874م): مؤرخ، كاتب وأديب فرنسي، نشأ في وسط عُثمالي، شغل مهمة مدير قسم التاريخ بالأرشيف الوطني الفرنسي، وقد كتب التاريخ بنفحة اجتماعية، حيث تناول حياة الناس وعاداتهم وطبائعهم وسلوكهم، ورغم استناده على الوثائق الأصلية، إلا أنَّ أعماله تعرّضت لكثير من الانتقادات حول دقة المصادر والأحكام الأخلاقية في تناوله الكثير من القضايا مثل: الكنيسة والملوك وثورة 1789م، والتي غالباً ما تناولها بكثير من الذاتية والحساس والتمجيد. أنظر: محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين السوربون استراسبورغ من المنهج إلى التناضح، دار الأمان الريادة، الرباط، 2018، ص 65-70.
- (23) محمد حبيدة، الكتابة التاريخية: التاريخ والعلوم الاجتماعية التاريخ والذاكرة تاريخ العقلية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015، ص 145.
- (24) نفس المنهج تبناه المؤرخ ابراهيم القادري بوتشيش، في كتابه (المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكالات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل)، والصادر عن دار رؤية للنشر والتوزيع سنة 2014، والذي يُسلط الضوء فيه على الحركات السياسية والمذهبية المناوئة للسلطة في تاريخ الغرب الإسلامي بمراحلها المختلفة، واستطاع من خلال كتبه في هذا المجال، المساهمة في بناء حقل بحثي جديد، يتعلّق بتاريخ الذهنيات، الذي ظلّ مغيباً في الإنتاج التاريخي العربي.
- (25) تكلّم "ميشلي" في كتابه "الشعب" عن الحاضر بخلفية تاريخية تعود للقرون الوسطى وعصر النهضة، والتحوّلات التي أحدثتها الثورة والآلة في يوميات الفلاحين، وعُمّال المدن وحياتهم العائلية وإحساساتهم، تكلّم عن المأكل والملبس والمسكن، عن الأجور والمصاريف، عن الزّواج والأسرة والأطفال، تكلّم عن كدح العمال الذي يصل إلى 15 ساعة في اليوم. أنظر: حبيدة، المدارس التاريخية... مرجع سابق، ص 67.
- (26) نفسه، ص 66.
- (27) نفسه، ص 65.
- (28) من أهمّ خصائص المدرسة التاريخية أنّها تدرس الأحداث التاريخية كما هي دون إخضاعها للمثالية الأخلاقية والسياسية، كما ترى أن الحقيقة التاريخية تظلّ نسبية، ولا تنظر للوثائق باعتبارها شيء مقدّس كما فعلت المدرسة الوضعية. من أشهر رُوّادها "ماكس فيبر"، "ولهام دلتاي"، "هنري ريكارت" وغيرهم. أنظر: محمد عبد الشّفيع عاشور، "ما الذي تعرفه عن المدارس التاريخية الحديثة؟"، تاريخ النشر: 6 جانفي 2017، تاريخ الزيارة: 2019/12/19، 23:36.
- <https://www.ida2at.com/what-do-you-know-about-modern-historical-schools/>
- (29) كارل ماركس (1818-1883م) وفريدريك إنجلز (1820-1895): مؤسّسي المدرسة الماركسية المادية Historical materialism التي جعلت للعامل الاقتصادي دوراً مهمّاً في صنع الأحداث التاريخية. أنظر: عاشور، نفس المرجع السابق، د.ص.
- (30) كوثراني، تاريخ التاريخ... مرجع سابق، ص 203.
- (31) فرناند بروديل، "تكوين كموّرخ"، تر: محمد حبيدة، مجلة أمل، ع2، السنة الأولى، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1992، ص 127.

32) يُقدِّم فيفري في كتابه "مسألة اللاإيمان في القرن السادس عشر: دين رابليه مثلاً"، كيف يكون التَّاريخ للعقائد والأفكار الدِّينية، من خلال العودة إلى الأصول، الممارسات، وأشكال الحياة الدِّينية والمعيشية. نقلاً عن: كوثراني، تاريخ التَّاريخ...، مرجع سابق، ص208.

33) Bourd , Op.Cit, pp217-218.

34) كوثراني، تاريخ التَّاريخ...، مرجع سابق، ص208.

35) نفسه، ص ص208-209.

36) صدر الكتاب سنة 1931م ويحلل فيه "بلوخ" تطوُّر البنى الزَّراعية في الغرب الوسيط والحديث من القرن الحادي عشر إلى الثامن عشر 1931م، كما يعالج ضمنه أشكال إشغال الأرض، تقنيَّات الإنتاج فيها، أنماط السَّكن، الأطر الإقطاعية، علاقات الجماعات وممارساتها على المدى الطَّويل... الخ. أنظر: كوثراني، تاريخ التَّاريخ...، مرجع سابق، ص ص209-210.

37) العنوان الأصلي للكتاب: Apologie pour l'histoire ou m tier d'historien "دفاع عن التَّاريخ أو مهنة المؤرِّخ"، وقد اهتمَّ فيه بلوخ بتحديث المناهج التَّاريخية، كما ناقش العلاقة بين التَّاريخ وعلم الاجتماع وبين التَّاريخ والعلوم الطَّبيعية، ودعا فيه إلى إحداث القطيعة مع الطُّرق التَّقليدية لدراسة التَّضاريف، واعتماد طرقٍ جديدةٍ تعتمد على تضافر جهود كل العلوم الإنسانية والاجتماعية. أنظر: مرقومة منصور، "التَّاريخ عند مارك بلوك والمنهج السُّوسي-أنثروبولوجي"، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتَّقافية CRASC، وهران، د.ت، تاريخ الزيارة: 2019/12/23، 10:30.

<https://www.aranthropos.com/?p=243>

38) ممَّا جاء في كتابه لتأكيد أهميَّة النِّقد التَّاريخي الذي يدعوا إليه: «في زماننا هذا الذي أصبح يتعرَّض أكثر من أيِّ وقتٍ مضى لِسُموم الكذب والخبر الكاذب، يا لها من فضيحة عندما نرى أنَّ المنهج التَّقدي لا يجد مكاناً له غير رُكنٍ صغيرٍ من برامج التَّعليم! ذلك أنه توقَّف عند كونه مجرَّد مُساعدٍ مُتواضعٍ لبعض أعمال مراكز أبحاثنا، وبرغم ذلك تفتتح أمامه من الآن فصاعداً، آفاق أكثر اتِّساعاً، ويحقُّ للتَّاريخ أن يحسب من بين أمجاده الأكثر تأكيداً أنه بإعداده تقنيَّة بعينها، إنَّما يفتح أمام البشر طريقاً جديداً نحو ما هو حقيقي وبالتالي ما هو حقٌّ». أنظر: مارك بلوخ، دفاعاً عن التَّاريخ أو مهنة المؤرِّخ، تر: أحمد الشيخ، ط2، المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربيَّة، القاهرة، 2013، ص189.

39) أحمد الشيخ، "التَّاريخ والحقيقة لدى مارك بلوخ"، ملف بحثي مجلة يتفكَّرون، ع3، الرِّباط المملكة المغربية، 2014، ص86.

40) كوثراني، تاريخ التَّاريخ...، مرجع سابق، ص209.

41) الطَّاهري، مرجع سابق، ص10.

42) بلوخ، دفاعاً عن التَّاريخ...، مرجع سابق، ص42.

43) كوثراني، تاريخ التَّاريخ...، مرجع سابق، ص209.

44) نفسه، ص ص210-211.

45) يقول بروديل متحدِّثاً عن طفولته: «وُلدت عام 1902م بقرية صغيرة بين "شامبانيا" و"باروا" تضمُّ اليوم مائة من السُّكَّان، والتي كانت تحتوي زمن طفولتي على ضعف العدد تقريباً... إنَّ المنزل الذي سكنته والذي شُيِّد عام 1806م، استمرَّ كما هو عليه

أو تقريبًا إلى غاية 1970م.. كانت له أهميته بالنسبة لتكويني المستقبلي كمؤرخ، فيما تعلّمه الآخرون من الكتب، أدركته من منبع حيّ منذ الصغر، لقد كنت منذ وقت مبكر ولا أزال مؤرخًا من أصل فلاحيّ». أنظر: بروديل، "تكويني كمؤرخ"، مرجع سابق، ص108.

(46) الطاهري، مرجع سابق، ص10.

(47) مما يرويه بروديل عن صداقته بأستاذه فيفر: «بينما كنت أغادر البرازيل نهائيًا على متن السفينة.. وجدت لوسيان فيفر وهو عائد بعد سلسلة من المحاضرات ألقاها في "يونس آيس"، لقد شكّلت مدّة العبور بالنسبة لي وللوسيان فيفر وزوجتي، عشرين يومًا من الثروة والضحك، حينئذٍ أصبحت أكثر من مُرافقٍ للوسيان فيفر، أصبحت بمثابة ابنه تقريبًا، وصار منزله "بسوجي" في جبال "الجورا" منزلي، وأبناءؤه أبنائي». أنظر: بروديل، "تكويني كمؤرخ.."، مرجع سابق، ص113.

(48) يقول بروديل: «لم يكن فيليب الثاني الحذر والكتيب يجذبني إلّا قليلًا، كان البحر الأبيض المتوسط يشدني إليه أكثر فأكثر، منذ 1927م كتب لي لوسيان فيفر قائلاً: (قد يكون من المثير للاهتمام معرفة بحر البرابرة عوض التركيز على فيليب الثاني).. حينئذٍ اخترت البحر الأبيض المتوسط». أنظر: بروديل، "تكويني كمؤرخ.."، المرجع السابق، ص112.

(49) فرناند بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تر: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص8.

(50) من المرجّح أنّه لولا إلحاح لوسيان فيفر عليه بالكفّ عن جمع الوثائق والتّقيب فيها للشروع في الكتابة، لاستمرّ على ذلك سنواتٍ طويلة، وهو الذي كتب في مقدّمة متوسطه: «تبيّنت في النهاية أنه يلزم للقيام بإحصاء هذه المناجم الثمينة والتّقيب فيها (أي الوثائق والأرشيفات) عشرين عُمرٍ مثل عُمرَي أو عشرين باحثٍ مثلي، يُخصّصون لها أعمارهم كلّها». أنظر: بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي..، المرجع السابق، ص8.

(51) تُرجم الكتاب "المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني" إلى أكثر من خمسة وعشرون لغة، لكنّ المؤسف أنّه لم يُرجم بعد إلى اللغة العربيّة، باستثناء مبادرة المؤرخ مروان أبي سمرا في ترجمة موجزة للكتاب، جاءت ضمن 159 صفحة، ورغم أهميّة الموجز إلّا أنّه لا يُغني عن كتاب بروديل الضخم.

(52) كوثراني، تاريخ التّاريخ..، مرجع سابق، ص212.

(53) عن تأليف الكتاب يقول بروديل: «في الأسر كتبت هذا المؤلّف الضخم.. إنّ ذاكرتي وحدها هي التي مكّنتني من هذه النتيجة الاستثنائية.. التقيت في "فلورنسا" بفيلسوفٍ إيطاليّ شاب قال لي: (ألّفت هذا الكتاب في السجن، لذلك أعطاني الانطباع دائماً أنّه كتاب تأمل). نعم، لقد تأملت البحر الأبيض المتوسط عن انفرادٍ مُدّة سنواتٍ بعيداً عن المجال والزّمن، ثمّ إنّ تصوّري للتّاريخ أخذ حينئذٍ شكله النهائي دون أن أشعر بذلك على التّو». أنظر: بروديل، "تكويني كمؤرخ"، مرجع سابق، ص114.

(54) بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي..، مرجع سابق، ص9.

(55) مرقومة، مرجع سابق، د.ص.

(56) في الجزء الأوّل من هذا الكتاب يبحث بروديل في ما يُسمّيه (بني الحياة اليومية)، حياة البشر في ظروفهم الماديّة وكما يعيشونها كل يوم، ويبحث في الجزء الثاني في أشكال التّبادل وآليات الاقتصاد والتّجارة من داخل البنية الرّأسماليّة، أمّا في الجزء الثالث فيُعالج نسق الهيمنة العالميّة للرّأسمالية وكيفيّة اشتغال السّلطات الاقتصاديّة والسّياسيّة.

(57) جاك لوغوف (1924-2014م): مؤرخ فرنسي، من مواليد مدينة "طولون"، درس في المدرسة العليا لباريس، وحصل سنة 1950م على شهادة التأهيل العليا في التاريخ، ثم باحثاً في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، ليتولى في نهاية السنين رئاسة "الجمعية الدولية للمؤرخين الاقتصاديين"، حيث برز تعاونه مع بروديل، ولتبدأ علاقته مع "مدرسة الحوليات". ترك لوغوف ثمانية وأربعين مؤلفاً، معظمها عن القرون الوسطى الأوروبية، منها: المثقفون في العصر الوسيط؛ حضارة الغرب القروسي؛ من أجل عصر وسيط آخر؛ الإنسان القروسي؛ العصر الوسيط اليوم؛ هل نشأت أوروبا في العصر الوسيط؟ إله العصر الوسيط؛ التاريخ المفتت، إضافة إلى كُتُب عن المنهج التاريخي الحديث. أنظر:

Jean-Claude Schmitt, "Jacques Le Goff (1924-2014) Un vivant Moyen Âge", Hermès La Revue, n° 69, C.N.R.S Editions, fév 2014, pp214-218.

(58) كوثراني، تاريخ التاريخ...، مرجع سابق، ص 217.

(59) زاير أبو الدهاج، "المعقول واللامعقول في التاريخ الجديد"، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، ع4، وهران، 2014، ص 63.

(60) أحمد رنيم، "مفهوم التاريخ لدى مدرسة الحوليات الفرنسية"، مقاربات فلسفية، مج1، ع1، مستغانم الجزائر 2014، ص 100.

(61) أبو الدهاج، مرجع سابق، ص 81.

(62) للمزيد ينظر:

Bloch Mark, Les Rois Thaumaturges, etudes sur le caractère surnaturel attribué a la puissance royale particulièrement en France et en Angleterre, paris, A Colin, 1961.

(63) لوغوف، التاريخ الجديد، مرجع سابق، ص 57.

(64) نفسه، ص 101-102.

(65) Fernand Braudel, La Méditerranée et le Monde Méditerranée a l'époque de philippe II, 1976, p21.

(66) يقصد بروديل أنَّ الزَّمان تدخله التَّسببية من باب أنَّه ينقلبُ إلى مُدَدٍ تاريخيةٍ، لكنها مُدَدٌ لا تَمُثِّلُ للعيان في صورة وقائع مُعطاةٍ سلفاً، بل إنَّ الخطاب التاريخي (خطاب المؤرخ) هو الذي يُشَبِّهُها كذلك، فالزَّمن التاريخي في أصله بسيطٌ وغير مُركَّب، والخطاب هو الذي يتكَمَّلُ بلعبة ضبط الزَّمان الواحد والأزمنة المتعددة، وهو ما يسمح بكتابة تواريخ عديدة لنفس التاريخ. أنظر: سالم يفوت، الزَّمان التاريخي: من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1991، ص 42-43.

(67) نفسه، ص 42.

(68) بروديل، المتوسِّط والعالم المتوسِّط، مرجع سابق، ص 13.

(69) دوس، مرجع سابق، ص 71.

(70) بروديل، "تكويني كمؤرخ"، مرجع سابق، ص 115-116.

- (71) التيمومي، مرجع سابق، ص 180.
 - (72) بيتر بيرك، علم الاجتماع والتاريخ، تر: داوود صالح رحمة، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2007، ص 23؛ دوس، مرجع سابق، ص ص 71-72.
 - (73) التيمومي، مرجع سابق، ص 181.
 - (74) يعكوب، مرجع سابق، د.ص.
 - (75) الطاهري، مرجع سابق، ص 11.
 - (76) يعكوب، مرجع سابق، د.ص.
 - (77) التيمومي، مرجع سابق، ص 184.
 - (78) تشهد على ذلك عدّة أعمالٍ منها: أشكال الجماع البدويّة من القرن 16م إلى القرن 19م ل: "فلاندران"، الحياة الزوجيّة في عهد ما قبل الثّورة ل: "لوربان"، والحب بالغرب في العصر الحديث ل: "سولي".
 - (79) دوس، مرجع سابق، ص 368.
 - (80) التيمومي، مرجع سابق، ص ص 186-187.
 - (81) نفسه، ص 187.
 - (82) أبو الدهاج، مرجع سابق، ص 85.
- قائمة المراجع**
- 1- المراجع باللّغة العربيّة:**
- (1) بلوخ مارك، دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، تر: أحمد الشيخ، ط2، المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربيّة، القاهرة، 2013.
 - (2) بيرك بيتر، علم الاجتماع والتاريخ، ترجمة: داوود صالح رحمة، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2007.
 - (3) التيمومي عبد الهادي، المدارس التاريخيّة الحديثة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2013.
 - (4) حبيدة محمد، الكتابة التاريخيّة: التاريخ والعلوم الاجتماعيّة التاريخ والذاكرة تاريخ العقليّات، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015.
 - (5) -----، المدارس التاريخيّة: برلين السوربون استراسبورغ من المنهج إلى التناهي، دار الأمان الريادة، الرباط، 2018.
 - (6) دوس فرانسوا، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، ط1، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، 2009.
 - (7) كوثراني وجيه، "التاريخ دراسة البشر في الزّمن لا في الماضي"، منبر الحوار، ط1، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت.
 - (8) -----، تاريخ التاريخ: اتجاهات مدارس مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012.
 - (9) لوغوف جاك، التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2007.
 - (10) يفوت سالم، الزّمان التاريخي: من التاريخ الكليّ إلى التّواريخ الفعلية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1991.

2 - المراجع باللغة الأجنبية:

- 1) Bloch Mark, **Appologie pour l'histoire ou métier d'historien**, Armand Colin, paris, 1993.
- 2) -----, **Les Rois Thaumaturges, etudes sur le caractère surnaturel attribué a la puissance royale particulièrement en France et en Angleterre**, paris, A Colin, 1961.
- 3) Braudel Fernand, **La Méditerranée et le Monde Méditerranée a l'époque de philippe II**, 1976.
- 4) Gayet Bourde et Herve Martin, **les Ecoles historiques**, Seuil, Paris, 1988.
- 5) Hamman Philippe, **"François Dosse, Le pari biographique. Écrire une vie"**, Éd. La Découverte, Paris, 30 juin 2006.

ثانيًا - المقالات:

1- المقالات باللغة العربية:

- (1) أبو الدهاج زايد، "المعقول واللامعقول في التاريخ الجديد"، مجلة دراسات انسانية واجتماعية، ع4، وهران، 2014.
- (2) رنيمة أحمد، "مفهوم التاريخ لدى مدرسة الحوليات الفرنسية"، مقاربات فلسفية، مج1، ع1، مستغانم الجزائر، 2014.
- (3) الشيخ أحمد، "التاريخ والحقيقة لدى مارك بلوخ"، مجلة بتفكرون (ملف بحثي)، ع3، الرباط المملكة المغربية، 2014.
- (4) العيادي محمد، "المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية"، مجلة أمل، ع15، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- (5) الطاهري عادل، "الجابري والحوليات اللقاء المنهجي الصامت"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2018، الرباط المملكة المغربية.

2- المقالات باللغة الأجنبية:

- 1) Schmitt Jean-Claude, **"Jacques Le Goff (1924-2014) Un vivant Moyen Âge"**, Hermès La Revue, n° 69, C.N.R.S Editions, fév 2014.

ثالثًا - الوسائط الالكترونية:

- (1) مرقومة منصور، "التاريخ عند مارك بلوك والمنهج السوسيو-أنثروبولوجي"، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، وهران، د.ت، تاريخ الزيارة: 2019/12/23، 10:30.
- <https://www.aranthropos.com/?p=243>
- (2) البيضاني ابراهيم سعيد، "قراءات في المدارس الفكرية التاريخية: نحو مدرسة عراقية تاريخية"، ملتقى قراءات في المدارس الفكرية التاريخية العالمية، أنقرة، 20-21 أوت 2019، تاريخ الزيارة: 21 نوفمبر 2019.
- <http://int-historians.com/article/252>
- (3) عاشور محمد عبد الشافي، "ما الذي تعرفه عن المدارس التاريخية الحديثة؟"، تاريخ النشر: 6 جانفي 2017، تاريخ الزيارة: 2019/12/19، 23:36.
- <https://www.ida2at.com/what-do-you-know-about-modern-historical-schools/>

(4) يعكوب عبد المالك واباحمان محمد، "مدرسة الحوليات نظرة أولية"، مجلة التاريخ، تاريخ النشر: 6 أكتوبر 2014، 22:00، 2019/11/10.

http://histoirecv.blogspot.com/2014/10/blog-post_99.html

(5) الموسوعة العربية الشاملة، مجموعة من العلماء والباحثين، نسخة الكترونية، 2004.